

ترجمة: الدكتورة دلالة عباس

الحُرّ بن يزيد الرياحيّ، قائد كتيبة من جيش عبيد الله بن زياد في وقعة كربلاء، له تقدير خاص لدى الشيعة لأنه ندم على فعلته، والتحق بالإمام الحسين عليه السلام. هو الحرّ بن يزيد بن ناجية بن قَعْنَب بن عَتَّاب بن الحارث بن عمرو بن هَمَّام، يعود نسبه إلى بني رياح بن يربوع بن حَنْظَلَة، من بطون قبيلة تميم* (أورد اسمه كلُّ من ابن الكلبي، مج 1، ص 213، 216؛ الدواداري، مج 4، ص 87، 89 جَرِير بن يزيد؛ الياضي، مج 1، ص 108، الحارث بن يزيد، وابن العماد، مج 1، ص 67 الحرث بن يزيد، وهذا غير صحيح)، لذا سُمِّيَ الرياحيّ، اليربوعيّ، الحنظليّ، والتميميّ (← البلاذريّ، مج 2، ص 472، 486، 489؛ الدينوريّ، ص 249؛ الطبريّ، مج 5، ص 422). عائلة الحرّ بن يزيد كانت من كبار القوم في الجاهليّة وبعد الإسلام (← السماوي، ص 203). تاريخ ولادته غير معروف، أمّا إن صحّت الروايات القائلة إنّ أبنائه قد شاركوا في وقعة كربلاء (← تنمّة المقالة) فمن المحتمل أن يكون وُلِد في السنوات الأولى للهجرة.

قليلة هي المعلومات المتعلّقة بحياة الحرّ؛ كان في العام 60هـ أحد أشهر المحاربين في الكوفة (← الطبريّ، مج 5، ص 392، 427؛ ابن كثير، مج 8، ص 195). ذكرت بعض المصادر خطأً أنّه كان صاحب شرطة عبيد الله بن زياد، والي الكوفة (← ابن الجوزي، مج 5، ص 235؛ ابن الوردي، مج 1، ص 231). مع ذلك فإنّ تعيينه قائداً لكتيبة في جيش عبيد الله بن زياد (مكوّنة من قبيلتي تميم وهمدان) المتوجّه لقتال الإمام الحسين عليه السلام (الطبريّ، مج 5، ص 422)، وانضباطه العسكريّ، وإصراره على تنفيذ أوامر الحكم بدقّة (← البلاذريّ، مج 2، ص 473؛ الدينوريّ، ص 252؛ الطبريّ، مج 5، ص 402-403)، مما يؤكّد حضوره مسؤولاً عسكرياً في حكومة ابن زياد (وليس بالضرورة صاحب الشرطة). يعزّز هذا الظن أنّه لم يكن يتدخّل في السياسة، ولم يرد في أيّ مصدر حديث عن عقيدة الحرّ أو موقفه السياسيّ في الأوضاع المأزومة في الكوفة في العام 60هـ، باستثناء رواية مشكوك فيها للبلعميّ عدّه فيها من الشيعة، الذين كانوا يخفون تشيّعهم (مج 4، ص 704).



مقبرة منسوبة إلى الحرّ بن يزيد الرياحيّ، تقع بالقرب من كربلاء (الصورة لرضا برجعي)

جابر عناصرري، سلطان كربلاء، طهران 1423هـ / 2003م، ص 37، الصورة 14

لمّا وصل إلى ابن زياد خبر توجّه الإمام الحسين إلى العراق، أرسل الحُصَيْن بن تميم صاحب شرطة الكوفة إلى القادسيّة. ومن القادسيّة بعث الحُصَيْن الحرّ على رأس ألف فارس كمقدّمة للجيش. في ذي حُسم وجد الإمام الحسين

نفسه في مواجهة الحرّ وجيشه (البلاذريّ، مج 2، ص 472؛ الطبريّ، مج 5، ص 400، قارن المفيد، مج 2، ص 69، 78؛ أخطب خوارزم، مج 1، ص 327، 330). مما صرّحت به المصادر أنّ الغاية من إرسال الحرّ لم تكن الحرب، بل سوق الإمام إلى ابن زياد، لذا اصطفّ وجنوده مقابل المكان حيث توقّفت قافلة الإمام (← البلاذريّ، مج 2، ص 473؛ الدينوريّ، ص 249-250؛ المفيد، مج 2، ص 80؛ أخطب خوارزم، مج 1، ص 332)، على الرغم من هذا الاصطفاف العدائيّ، كانت ردّة فعل الإمام سلميّة، فقد أمر أصحابه أن يرووا عطش الجنود والخيل، ومن ناحيته أظهر الحرّ رغبته بأن يأتّم وجنده بالإمام في الصلاة، فوافق الإمام، وبعد ذلك صرّح له، بعد أن ذكر رسائل أهل الكوفة إليه، وإلحاحهم في دعوته لتسلّم زمام الأمور في الكوفة، أنّه سيعود من حيث أتى طالما أنّ أهل الكوفة قد تراجعوا عن طلبهم. أعلن الحرّ أنّه يجهل وجود مثل هذه المكاتبات، وأنّه ومن معه، ليستوا من ضمن الذين كتبوا تلك الرسائل، ومهمّته تنحصر في أخذ الإمام إلى ابن زياد في الكوفة. حين قرّر الإمام العودة مع أهله وأصحابه إلى المدينة، حال الحرّ بينهم وبين الانصراف، واقترح أن يأخذ الإمام طريقاً آخر لا يدخله الكوفة، ولا يرده إلى المدينة، ليكتب هو إلى ابن زياد، ويرى ما سيؤول إليه الأمر. اتخذ الحسين وأصحابه طريق العُذيب والقادسية، وسار الحرّ يسايره (البلاذريّ، مج 2، ص 472-473؛ الدينوريّ، ص 249-250؛ الطبريّ، مج 5، ص 402-403؛ المفيد، مج 2، ص 78-80). ولما انتهوا إلى العُذيب، فإذا بأربعة من أنصار الإمام قد أقبلوا من الكوفة لنصرته، أراد الحرّ حبسهم أو ردّهم إلى الكوفة فمنعه الإمام. وقد أحرّوا الإمام عن سوء الأوضاع في الكوفة، وعن مقتل قيس بن مُسهرّ الصيداويّ (رسول الإمام إلى الكوفة)، وإعداد جيش لجلب لقتال الإمام (← البلاذريّ، مج 2، ص 473-474؛ الطبريّ، مج 5، ص 403-404؛ أخطب خوارزم، مج 1، ص 331-333). من ناحية أخرى اتفّاق الحرّ والإمام الحسين انتهى في اليوم الثاني من محرّم (قارن الدينوريّ، ص 253: الأوّل من محرّم)؛ وصل الفريقان إلى بلدة نينوى، وإذا برسالة تصل إلى الحرّ من ابن زياد، يأمره فيها أن يضيّق على الحسين وأصحابه، وأن لا ينزلهم إلّا بالعراء على غير ماء ولا مرعى وفي غير حصن (الدينوريّ، ص 251؛ الطبريّ، مج 5، ص 408-409؛ المفيد، مج 2، ص 81-84؛ قارن أخطب خوارزم، مج 1، ص 334). وجد الحرّ نفسه في مأزق، وابن زياد كان قد أمر رسوله بمراقبته، وجعله عليه عيناً، فأوقف الحرّ قافلة الإمام ومنعهم من السير، وردّ طلب الإمام وأصحابه أن ينزلوا في إحدى تلك النواحي في نينوى، أو الغاضريّة، أو شقبيّة/ سقبيّة). واضطرّ الإمام وصحبه أن يحطّوا رحالهم في كربلاء، بالقرب من نهر الفرات (الدينوريّ، ص 251-252؛ الطبريّ، م.ن، ص.ن؛ المفيد، مج 2، ص 84؛ أخطب خوارزم، م.ن، ص.ن).

إنّ سلوك الحرّ تجاه الإمام الحسين، على الرغم من الشدّة والتضييق، كان مُفعمًا بالاحترام (حتى أنّه لمّا قال له الإمام تكلتلك أمك ما تريد؟ تجنب الردّ على الإمام احتراماً للسيدة الزهراء عليها السلام) (← البلاذريّ، مج 2، ص 473؛ الطبريّ، مج 5، ص 402). كان في قرارة نفسه يرجو الصلح، لذا أثار تعجّبه وصول عمر بن سعد بجيشه المؤلّف من عدّة آلاف، واستعداد أهل الكوفة لمحاربة الإمام الحسين (للاطلاع على ما قاله الحرّ لعمر بن سعد، وجواب عمر المتضمّن عزمه على حرب لا تُبقي ولا تذر (← المفيد، مج 2، ص 99؛ أخطب خوارزم، مج 2، ص 12).

تأثر الحرّ بما سمعه من خطب الإمام الحسين، وتغيّر موقفه (← أخطب خوارزم، م.ن، ص.ن)، وفي الوقت عينه رأى نقض أهل الكوفة لعهودهم، وإصرارهم على القتال، وتجاهلهم خطب الإمام ودعوته المتكرّرة (من الأوّل حتى العاشر من محرّم)، ومنعهم الماء عن الإمام وأصحابه، فلم يبق أيّ شكّ لديه أنّ مؤامرةً دنيئةً تُحبك، فغيّر علناً وجهته في العاشر من محرّم، وغادر جيشه، وانضمّ إلى الإمام الحسين. قيل إنّه وقف قبالة الإمام وهو يرعد، معلناً أنّه لم يساوره الظنّ أنّ أهل الكوفة يرفضون ما عرضه الإمام عليهم، ويؤول أمرهم إلى الحرب، وإنّه جاءه تائباً إلى ربّه ممّا كان منه، مواسياً للإمام بنفسه، فاستغفر له الإمام وقال له، نعم يتوب الله عليك، أنت حرّ في الدين والآخرة (← البلاذريّ، مج 2، ص 475-476، 479؛ الطبريّ، مج 5، ص 392، 422، 427-428؛ المفيد، مج 2، ص 100-101؛ أخطب خوارزم، مج 2، ص 12-13؛ قارن ص 14، حيث يرى أنّ جملة الإمام عن الحرّ قالها بعد مقتله).

إنّ تغيير موقف هذا القائد الكبير، أحد قادة جيش ابن زياد، كان مثيراً للعجب ممّا حدا بالبعض إلى ردّ سببه إلى عواملٍ غيبية، كتشبير ملاك له، أو إلى الرؤيا الصادقة (← ابن بابويه، ص 218؛ ابن نما، ص 59؛ الحائري الخراسانيّ، ص 96)، ومثل هذا التخريج، سواء كان صحيحاً أو سقيماً، لا يقلل من قيمة الخيار الحساس والصعب الذي اتخذته الحرّ (أيضاً ← بيضون، مج 1، ص 678-679، الذي عدّ تربية الحرّ الصحيحة كانت العامل الأكثر تأثيراً في الموقف الذي اتخذته). ورأى البعض أنّ كلامه حين قرّر الانضمام إلى الإمام الحسين يؤكّد صحّة القول إنّ ما قام به كان اختياراً شخصياً. من ذلك قوله: إنّي والله أخير نفسي بين الجنّة والنار، فوالله إنّي لا أختار على الجنّة شيئاً، ولو قُطعتُ وحُرقت (لمزيد من الاطلاع ← البلاذريّ، م.ن، ص.ن؛ المفيد، مج 2، ص 99؛ أخطب خوارزم، مج 2، ص 12). لم يطل الوقت بين توبة الحرّ وبين استشهاده، فإحدى الروايات تقول إنّ الحرّ استأذن الإمام، لأنّه كان أوّل من خرج عليه، أن يكون أوّل من يقاتل ويستشهد بين يديه (← ابن الأعمش الكوفيّ، مج 5، ص 101؛ أخطب خوارزم، مج 2، ص 13). وبعد أن التحق بالإمام تقدّم مباشرة نحو ساحة القتال، وجرى حوارٌ ثانٍ بينه وبين عمر بن سعد من دون جدوى، ووعظ أهل الكوفة وأنّبهم على فعلتهم، ثمّ حمل على القوم وهو يرتجز، وقاتل قتالاً شديداً، وبعد جولات عدّة نال الشهادة (← البلاذريّ، مج 2، ص 476، 489، 494، 517؛ الطبريّ، مج 5، ص 428-429، 434-435، 437، 440-441؛ المفيد، مج 2، ص 102-104؛ أيضاً ← كربلاء*، وقعة).

بناءً على بعض المراجع المتأخّرة، حين انضمّ الحرّ إلى الإمام الحسين، كان معه أيضاً أبناؤه وأخوه وغلّامه، واستشهدوا في وقعة كربلاء (← أخطب خوارزم، مج 2، ص 13؛ كاشفي، ص 281-282؛ حائري الخراسانيّ، ص 120-127؛ قارن شمس الدين، ص 84-85)، لكنّ هذه الأقوال ليست موثوقة كثيراً، لأنّ أيّاً من المصادر القديمة لم يشر إليها.

هنالك أيضاً إشارات إلى أعقاب الحرّ. فحمد الله المستوفي يعتقد أنّ آل المستوفي في قروين، الذين يتحدّث منهم، هم من أعقاب الحرّ بن يزيد الرياحيّ (حول نسبة عائلة الحرّ العامليّ إلى الحرّ بن يزيد ← الحرّ العامليّ*).

يقول الأمين (مج 1، ص 613)، إنّ جماعةً من قبيلة الحرّ، بعد وقعة كربلاء، دفنوا جثمانه في مكان بعيد من سائر الشهداء. في القرن العاشر الهجريّ، عُرف مزار الحرّ، وقيل أنّ الشاه إسماعيل الصفويّ، بنى ضريحاً فوقه (← الجزائريّ، مج 3، ص 265-266). في العصر القاجاريّ، قامت والدة آغا خان المحلّاتي بترميم الضريح، وشيّدت له

صحناً شبيهاً بالقلعة، يكون ملجأً للزوار يأمنون فيه خطر قطاع الطرق (أديب الملك، ص 213). في العام 1325هـ/1907م، رقم حسين خان شجاع السلطنة، مرقد الحرّ، وفي العام 1330هـ/1911م رقم السيّد عبد الحسين كليدوار إيوان الضريح (حسيني جلاي، ص 97). يقع هذا المزار اليوم على بعد بضعة كيلومترات من مرقد الإمام الحسين (لجهة الغرب)، ووفقه قبّة وصحن (الأمين، مج 4، ص 614؛ شمس الدين، ص 142). لكن هنالك شكّ في صحّة نسبة هذا المزار إلى الحرّ. يعتقد البعض، ممن ينكرون هذه النسبة، أنّه مدفون إلى جانب غيره من شهداء كربلاء، بالقرب من الإمام الحسين (← المفيد، مج 2، ص 114، 126؛ النوري، ص 106)، لكن السيّد محسن الأمين (مج 1، ص 613) يرى أنّ شهرة هذا المزار، والتزام الناس بزيارته، ليس من دون دليل.

المصادر والمراجع: ابن الأعمش الكوفي، كتاب الفتوح، طبعة علي شيري، بيروت 1411هـ/1991م؛ ابن بابويه، الأمالي، قم 1417هـ/1996م؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط. محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت 1412هـ/1992م؛ ابن طاووس، مقتل الحسين عليه السلام، المسمّى بالهوف في قتلى الطفوف، قم 1417هـ/1996م؛ ابن العماد؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ط. علي شيري، بيروت، 1408هـ/1988م؛ ابن الكلبي، جمهرة النسب، مج 1، ط. ناجي حسين، بيروت 1407هـ/1986م؛ ابن نما، مثير الأحزان، قم 1406هـ/1985م؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، النجف 1389هـ/1969م؛ موفّق بن أحمد أخطب خوارزم، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، ط. محمد السماوي، [قم] 1381ش [2002م]؛ عبد العلي ديب الملك، سفرنامه أديب الملك به عتبات (دليل الزائرين) [رحلة أديب الملك إلى العتبات المقدّسة (دليل الزائرين)]، طبعة مسعود غلزاري، طهران 1364ش [1985م]؛ الأمين؛ أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، ط. محمود فردوس العظم، دمشق 1416-1420هـ/1996-2000م؛ محمد بن محمد البلعمي، تاريخنامه طبري [تاريخ الطبري]، ط. محمد روشن، طهران 1380ش [2001م]؛ لبيب بيضون، موسوعة كربلاء، بيروت 1427هـ/2006م؛ نعمت الله بن عبد الله الجزائري، الأنوار النعمانيّة، بيروت 1404هـ/1984م؛ هادي الحائري الخراساني، القول السديد بشأن الحرّ الشهيد، ط. محمد تقي الحسيني الجلاي، النجف [1394هـ/1974م]؛ محمد حسين الحسيني الجلاي، خاك پاكان: تاريخ آرمگاههای خاندان پیامبر عليهم السلام وصحابه خاص آن [أرض الطاهرين: تاريخ أضرحة آل النبي عليهم السلام وخاصة أصحابه، ترجمه بالفارسيّة قربانعلي الإسماعيلي، مشهد 1380ش [2001م]؛ حمد الله المستوفي، تاريخ گزيده [منتخب التاريخ]؛ أبو بكر بن عبد الله الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، مج 4، ط. غوهيل غراف، وأريكا غلاسن، بيروت 1415هـ/1994م؛ أحمد بن داوود الدينوري، الأخبار الطوال، ط. عبد المنعم عامر، مصر 1379هـ/1959م، ط. أوفست بغداد [لاتا.]. محمد السماوي، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، ط. محمد جعفر الطبسي، [قم] 1377ش [1998م]؛ محمد مهدي شمس الدين، أنصار الحسين: دراسة عن شهداء ثورة الحسين، الرجال والدلالات، [بيروت] 1401هـ/1981م؛ الطبري، التاريخ (بيروت)؛ حسين بن علي الكاشفي، روضة الشهداء، ط. محمد رمضان، [طهران] 1341ش [1962م]، مُسكويه؛ محمد بن محمد المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم 1413هـ/1992م؛ حسين بن محمد تقي النوري،

لؤلؤ و مرجان: در آداب أهل منبر [اللؤلؤ والمرجان: في آداب أهل المنبر]، طهران 1379ش [2000م]، عبد الله بن
أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، بيروت 1417هـ/1997م.

/السيدة رقية مير أبو القاسمي/